

التصاقب وأثره على الحكم الشرعي من خلال مسند الإمام أحمد بن حنبل (١)

بحث في فقه اللغة

كلية اللغات - جامعة المدينة العالمية

فهد يحيى حسن مطهري

وقالوا جلف وجرم فهذا للقرش وهذا للقطع وهما متقاربان معنى متقاربان لفظاً لأن ذلك من "ج ل ف" وهذا من "ج ر م" (٦).

الألفاظ المتصاقبة في المحصل :
من الألفاظ المتصاقبة في المحصل : التصاقب بين لفظتي: "حتّ وحكّ". وقد وردت هاتين اللفظتين في الحديثين التاليين:

الأول: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو معاوية قال حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت يا رسول الله المرأة يصيبها من دم حيضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحتة ثم لتقرضه بماء ثم لتصلي فيه (٧).

والحديث الثاني: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني ثابت أبو المقدم قال حدثني عدي بن دينار قال سمعت أم قيس بنت محصن قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الثوب يصيبه دم الحيض قال حكاه بضلع واغسله بالماء والند وسدر (٨).

وإذ تتبعنا المعنى المعجمي لهاتين اللفظتين، نجد أن لفظة "حتّ" تدل على: تساقط الشيء، ومنه حتّ المني عن الثوب، وحتّ الورق عن الشجر، وحتّ الثوب أي: فركه، والحتّ: القشر (٩).

ولفظة "حكّ" تدل على: ما يسقط من الشينين، وحكّ الشيء: أمرّ جرمه على جرمه، وفي اللسان الحكّ: إمرار جرم على جرم صكاً (١٠).

وبالرجوع إلى اللفظتين نجد بينهما تقارب في الحروف، فالحاء من حتّ يماثلها الحاء من حكّ، والتاء من حتّ يماثلها الكاف من حكّ، فهما مشتركتان في الجذر الأول، أما الجذرين الثاني والثالث وهما حرفا التاء والكاف المضعفين يعتبران من مخرج واحد وهو: اللسان، فحرف التاء يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك، وحرف الكاف يخرج من أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك (١١). وهذا ما أشار إليه ابن جني كما أشرت سابقاً من اقتراب الأصلين الثلاثية (١٢)، والذي نتج عن هذا التقارب في المخرج بين الحرفين "التاء والكاف"؛ التقارب في المعنى كما بينت ذلك في المعنى المعجمي للفظتي "حتّ وحكّ" فكلا اللفظتين تدل على "التساقط"، قال ابن فارس في المقاييس: الحاء والتاء أصل واحد يدل على تساقط الشيء (١٣)، والحاء والكاف أصل واحد يدل على ما يسقط من الشينين (١٤).

وعند تأملنا لهاتين اللفظتين نجد أن الحروف التي تتكون منها تحاكي الصوت المسموع منها، فالحكّ ينتج من فرك الثوب وذلكه باليد، والحكّ ينتج من فرك الثوب وذلكه بجرم، وكلا اللفظتين تنتج من الفرك والدلك، ولكن تختلف وسيلة كل منهما، فالحكّ يكون باليد، والحكّ يكون بجرم كالضلع وغيره، ولأن الحكّ أقوى من الحتّ جاء التعبير عنه بحرف الكاف الذي يعتبر أقوى وأشد من حرف التاء، وكانت دقة التعبير عن ذلك واضحة في الحديثين السابقين ولا غرابة في دقة استخدام كل لفظة في موضعها وفي

I. المقدمة

لا شك أن فهم اللغة العربية - بشتى علومها مطلب مهم في فهم الشريعة الإسلامية ومدخل هام للفقهاء للقول بأرائهم في مسائل الفقه ومن بين علوم اللغة العربية التي ساهمت في التأثير على الأحكام الشرعية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

II. موضوع المقالة

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني
الصقب في اللغة: القرب (١)، وجاء في مقاييس اللغة الصاد والقاف والباء لا يكاد يكون أصلاً؛ لأن الصاد يكون مرة في السين، والبيبان متداخلان، مرة يقال بالسين ومرة بالصاد، إلا أنه يدل على القرب ومع الامتداد مع الدقة (٢).

والمقصود بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: هو تقارب الألفاظ لتقارب المعاني
أول من ذكر هذا الباب ابن جني في الخصائص تحت باب سماه بباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، حيث قال في مقدمة هذا الباب: "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلاً مسهوا عنه" (٣).

ثم ذكر أنه على ضرب (٤):
الأول: اقتراب الأصلين الثلاثين كضياط وضيطار، ولوقة والوقة، ورخو ورخود، وينجوج والنجوج.
الثاني: اقتراب الأصلين ثلاثياً أحدهما، ورباعياً صاحبة أو رباعياً أحدهما. وخماسياً صاحبه: كدمث ودمثر، وسبط وسيطر، ولولو ولال، والضبغطي والضبطري

الثالث: ومنها التقديم والتأخير على ما قلنا في الباب الذي قبل هذا في تقليب الأصول؛ نحو (ك ل م) و(م ل ك) و(م ك ل) ونحو ذلك. وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة. لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني. وهذا باب واسع.

ومن ذلك قول الله سبحانه ((ألم تر أنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)) (٥) أي: تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هذا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك.

أمثله:
(ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من (التردد) بالعسف فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين).

وقالوا: الغدر كما قالوا الختل والمعنيان متقاربان واللفظان متراسلان فذاك من "غ د ر" وهذا من "خ ت ل" فالغين أخت الحاء والدال أخت التاء والراء أخت اللام.

(١) لسان العرب، مادة: ص ق ب

(٢) مقاييس اللغة مادة: ص ق ب

(٣) الخصائص، ص ٤٠٣

(٤) المصدر السابق

(٥) القرآن الكريم، سورة مريم، آية: ٨٣

(٦) الخصائص، ص ٤٠٥

(٧) رواه أحمد، حديث رقم: ٢٦٣٨٠

(٨) رواه أحمد، حديث رقم: ٢٦٤٥٨ - ٢٦٤٦١، ورواه النسائي، كتاب الطهارة، باب:

دم الحيض يصيب الثوب، حديث رقم: ٢٩٢، كما أخرجه في كتاب الحيض، باب: دم

الحيض يصيب الثوب، حديث رقم: ٣٩٥

(٩) انظر لسان العرب والقاموس المحيط ومقاييس اللغة والمعجم الوسيط والنهاية في

غريب الحديث والأثر، مادة: حنتت

(١٠) انظر لسان العرب والقاموس المحيط ومقاييس اللغة والمعجم الوسيط والنهاية في

غريب الحديث والأثر، مادة: حكك

(١١) العقد المفيد في علم التجويد، ص ٦٢-٦٣

(١٢) الخصائص، ص ٤٠٣

(١٣) مقاييس اللغة، مادة: حنتت

(١٤) مقاييس اللغة، مادة: حكك

حديثين مختلف كل منهما عن الآخر، لأن القائل هو أفصح الخلق عليه الصلاة والسلام، فقد أشار في الحديث الأول إلى الحث باليد وأشار في الحديث الثاني إلى الحث بجرم وهو الضلع. فسبحان الله الذي جعله لا ينطق عن الهوى. وفيما يلي عرض لأراء العلماء في مسألة تطهير النجاسة من دم الحيض بالحث والحك:

مسألة إزالة النجاسة بالحث والحك:
ذهب المالكية (١)، والشافعية (٢) إلى أنه يستحب الحث والقرص لإزالة النجاسة.

واستدلوا بحديثي (فلتقرصه ثم لتنضحه)، ورواية: (ثم تحته وتقرصه بالماء). وذهب الشافعية في قول (٣)، والحنابلة في المشهور (٤) إلى أنه يجب إن لم تذهب النجاسة بدونهما، ولم يتضرر المحل بهما. واستدلوا بالحديثين وقالوا: فلتقرصه أمر منه ﷺ، والأصل في الأمر الوجوب ما لم يصرفه عن الوجوب صارف.

المصادر والمراجع

- (١) ابن منظور، عبدالله، لسان العرب، (مصر : مطبعة دار الحديث، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)
- (٢) ابن الأثير، مجد الدين النهاية في غريب الحديث والأثر، ط٣ (لبنان : مطبعة دار المعرفة، ١٤٣٠ هـ -)
- (٣) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، الفروع، عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ
- (٤) الرملي، شهاب الدين أحمد، فتاوى الرملي، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ
- (٥) الزبيدي، تاج العروس
- (٦) البيهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ
- (٧) سنن النسائي
- (٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل
- (٩) البيهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ
- (١٠) القرعاوي، عبدالله بن ابراهيم، المحصل في مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار العاصمة، ١٤٢٧ هـ
- (١١) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٢ هـ
- (١٢) البيهوتي، منصور بن يونس، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ
- (١٣) ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ط٢ (لبنان، مطبعة : عالم الكتب، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م)
- (١٤) الرعيني، أبو عبد الله محمد بن محمد، مواهب الجليل، دار الفكر، ١٤١٢ هـ
- (١٥) سيف، صلاح صالح، العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٧ م
- (١٦) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، (مصر : مطبعة دار الحديث ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)
- (١٧) الفيرو آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة المختار، ١٤٢٦ هـ
- (١٨) النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين، عالم الكتب، ٢٠٠٣ م
- (١٨) الأنصاري، أبو يحيى زكريا، أسنى المطالب، دار الكتاب الإسلامي
- (١٩) القرآن الكريم

(١) مواهب الجليل ١/١٥٩.
(٢) فتاوى الرملي ١/٦٥، روضة الطالبين ١/٢٨، أسنى المطالب ١/٢١.
(٣) روضة الطالبين ١/٢٨.
(٤) الفروع ١/٢٤١، شرح منتهى الإرادات ١/١٠٣، كشاف القناع ١/١٨٥.